المتآكلون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- وبعد،

فمن أهم خصائص أهل السنة أنهم أهل الجماعة ومن أهم خصائص من عاداهم أنهم أهل فرقة، وفرق الأمة عدها النبي -صلى الله عليه وسلم- فتجاوزت السبعين وأخبر أن هذا العدد وهذه المسميات مع اختلاف الفرق والمناهج كلها في النار وبين أن فصيلًا واحدًا فقط في الجنة وهم الجماعة وفسرها بأنها "**ما أنا عليه اليوم وأصحابي** "

والجماعة المقصود بها قسمان " **جماعة في الدين وجماعة في الأبدان** "

فجماعة الدين هي عبادة الله وحده لا شريك له ومتابعة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في كل ما أمر به ونهى عنه وهي التي قال الله فيها {**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**} [الشورى: ١٣]

وجماعة الأبدان وهي الاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف وطاعة ولاة الأمور في غير معصية ولا ندخل معهم في شيء من المظالم ولا نعينهم على سفك الدم الحرام بأي كلمة، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: " **أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ** "، **قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ ، قَالَ: أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي**". [١]

وخالف في معنى الجماعة طائفتين:

الأولى: غلبت جانب جماعة الدين على جماعة البدن وغالت فيه وأهملت أمر اجتماع الأبدان فخرجت على الأمة بالسيف أو غالت في بعض جوانب العلم فافترقت عن جماعة المسلمين ووقعت الفرقة بينهم ودب فيهم الشقاق

الثانية: غلبت جانب جماعة الأبدان على الدين فحرصت على وحدة الصف ولم تعبأ باختلاف الدين واعتبروا أن هذه الدعوة دعوة " الإسلام الوسطي " وحدة الكلمة ولا يهم كلمة التوحيد، فضيعوا عقائد الولاء والبراء والحب في الله والبغض فيه وساووا بين المسلمين والمجرمين فالفاسقات صرن فضليات وأهل الكفر والضلال أصبحوا من ذوي الوجاهات هيهات هيهات. . .

وكلا الطائفتين على غير الصواب وهم في شتات وافتراق وهكذا حال كل مجانب لمنهج أهل السنة والجماعة أنهم يزدادون كل يوم تفرقا واختلافا حتى يشتد الخلاف فيما بينهم فينقلب القرين على قرينه والتلميذ على شيخه ورفيقه {**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**} [هود: ١١٩] فهي مناهج متآكلة ولا بقاء لها ولا دوام ومن يقلب بصره في واقعنا يرى ذلك جليًّا،

فطائفة استغرقوا أعمارهم فيما يسمى بفقه الواقع وأهملوا فقه الشريعة فأخطأوا في تنزيل النص على الواقع وحري أن يقال على هذا " **الفقه الواقع** "

وآخرون تفرغوا للنقد والتجريح وينشأ الناشئ منهم على تبديع من يراه شيخه مبتدعًا وإن زكاه الناس، وليس العلم من بابتهم ولا الأدب مع الأفاضل من شيمتهم، فلما دخلوا في باب من العلم بغير أصوله وقواعده أكل بعضهم بعضا وانقلبت محبتهم لبعضهم عداوة

وفريق أهمل الدليل الناصع الصحيح وقدم المصلحة الموهومة والرأي العليل وقد كان ينافح عن الدين فأضحى مدافعا عن السياسيين، وقد قالوا عن هذا قديما " **حمار العلم** "

يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِيًا. . . يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَسَاكِيْنِ

احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا. . . بِحِيْلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّيْنِ

فصرت مجنونًا بها بعدما. . . كُنْتَ دَوَاءً لِلمَجَانِيْنِ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِي سَرْدِهَا. . . عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيْرِيْنِ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيْمَا مَضَى. . . فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلاَطِيْنِ

إِنْ قُلْتَ أُكْرِهْتُ فَمَاذَا كَذَا. . . زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ فِي الطِّيْنِ

وهذا كلام رائق كتبه قوام السنة أبو القاسم الأصفهاني فقد أبلغ وأوجز، **وقال كل ما حاك في صدري**: كل فريق من المبتدعة إِنَّمَا يَدعِي أَن الَّذِي يَعْتَقِدهُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُول الله-صلى الله عليه وسلم- ؛ لأَنهم كلهم مدعون شَرِيعَة الْإِسْلَام ملتزمون فِي الظَّاهِر شعائرها، يرَوْنَ أَن مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّد غير أَن الطّرق تَفَرَّقت بهم بعد ذَلِكَ، وأحدثوا فِي الدّين مَا لم يَأْذَن بِهِ الله وَرَسُوله، فَزعم كل فريق أَنه هُوَ المتمسك بشريعة الْإِسْلَام، وَأَن الْحق الَّذِي قَامَ بِهِ رَسُول الله هُوَ الَّذِي يَعْتَقِدهُ وينتحله، غير أَن الله أَبى أَن يكون الْحق والعقيدة الصحيحة إِلَّا مَعَ أهل الحَدِيث والْآثَار؛ لأَنهم أخذُوا دينهم وعقائدهم خلفا عَن سلف، وقرنا عَن قرن، إِلَى أَن انْتَهوا إِلَى التَّابِعين، وَأَخذه التابعون من أَصْحَاب رَسُول الله-صلى الله عليه وسلم- ، وَأَخذه أَصْحَاب رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم- عَن رَسُول الله-صلى الله عليه وسلم- ، وَلَا طَرِيق إِلَى معرفَة مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُول الله-صلى الله عليه وسلم- النَّاس من الدّين الْمُسْتَقيم، والصراط القويم، إِلَّا هَذَا الطَّرِيق الَّذِي سلكه أَصْحَاب الحَدِيث، وَأما سَائِر الْفرق فطلبوا الدّين لَا بطريقه لأَنهم رجعُوا إِلَى معقولهم، وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدّين من قبله، فَإِذا سمعُوا شَيْئًا من الْكتاب وَالسّنة، عرضوه عَلَى معيار عُقُولهمْ، فَإِن استقام قبلوه، وَإِن لم يستقم فِي ميزَان عُقُولهمْ ردُّوهُ، فَإِن اضطروا إِلَى قبُوله، حرفوه بالتأويلات الْبَعِيدَة، والمعاني المستكرهة، فحادوا عَن الْحق وزاغوا عَنهُ، ونبذوا الدّين وَرَاء ظُهُورهمْ، وَجعلُوا السّنة تَحت أَقْدَامهم تَعَالَى الله عَمَّا يصفونَ.

وَأما أهل الْحق فَجعلُوا الْكتاب وَالسّنة إمَامهمْ، وطلبوا الدّين من قبلهمَا، وَمَا وَقع لَهُم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه عَلَى الْكتاب وَالسّنة فَإِن وجدوه مُوَافقا لَهما قبلوه، وشكروا الله حَيْثُ أَرَاهُم ذَلِكَ ووفقهم إِلَيْهِ، وَإِن وجدوه مُخَالفا لَهُم تركُوا مَا وَقع لَهُم، وَأَقْبلُوا عَلَى الْكتاب وَالسّنة، ورَجَعُوا بالتهمة عَلَى أنفسهم، فَإِن الْكتاب وَالسّنة لَا يهديان إِلَّا إِلَى الْحق، ورأي الْإِنْسَان قد يرى الْحق، وَقد يرى الْبَاطِل،. . . .

وَمِمَّا يدل عَلَى أَن أهل الحَدِيث هم عَلَى الْحق، أَنَّك لَو طالعت جَمِيع كتبهمْ المصنفة من أَوَّلهمْ إِلَى آخِرهم، قديمهم وحديثهم مَعَ اخْتِلَاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد مَا بَينهم فِي الديار، وَسُكُون كل وَاحِد مِنْهُم قطرًا من الأقطار، وَجَدتهمْ فِي بَيَان الِاعْتِقَاد عَلَى وتيرة وَاحِدَة، ونمط وَاحِد يجرونَ فِيهِ عَلَى طَرِيقَة لَا يحيدون عَنْهَا، وَلَا يميلون فِيهَا، قَوْلهم فِي ذَلِكَ وَاحِد ونقلهم وَاحِد، لَا ترى بَينهم اخْتِلَافا، وَلَا تفرقا فِي شَيْء مَا وَإِن قل، بل لَو جمعت جَمِيع مَا جرى عَلَى ألسنتهم، ونقلوه عَن سلفهم، وجدته كَأَنَّهُ جَاءَ من قلب وَاحِد، وَجرى عَلَى لِسَان وَاحِد، وَهل عَلَى الْحق دَلِيل أبين من هَذَا!

قَالَ الله تَعَالَى: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** }. وَقَالَ تَعَالَى: {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تفرقُوا**}.

وَأما إِذا نظرت إِلَى أهل الْأَهْوَاء والبدع، رَأَيْتهمْ مُتَفَرّقين مُخْتَلفين أَو شيعًا وأحزابا، لَا تكَاد تَجِد اثْنَيْنِ مِنْهُم عَلَى طَرِيقَة وَاحِدَة فِي الِاعْتِقَاد، يبدع بَعضهم بَعْضًا، بل يرتقون إِلَى التكفير، يكفر الابْن أَبَاهُ وَالرجل أَخَاهُ، وَالْجَار جَاره، تراهم أبدًا فِي تنَازع وتباغض، وَاخْتِلَاف، تَنْقَضِي أعمارُهم وَلما تتفق كلماتهم {**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قوم لَا يعْقلُونَ**}

أَو مَا سَمِعت أَن الْمُعْتَزلَة مَعَ اجْتِمَاعهم فِي هَذَا اللقب يكفر البغداديون مِنْهُم الْبَصرِيين، والبصريون مِنْهُم البغداديين، وَيكفر أَصْحَاب أَبِي عَليّ الجبائي ابْنه أَبَا هَاشم، وَأَصْحَاب أَبِي هَاشم

يكفرون أَبَاهُ أَبَا عَليّ، وَكَذَلِكَ سَائِر رؤوسهم وأرباب المقالات مِنْهُم، إِذا تدبرت أَقْوَالهم رَأَيْتهمْ مُتَفَرّقين يكفر بَعضهم بَعْضًا، ويتبرأ بَعضهم من بعض، كَذَلِك الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض فِيمَا بَينهم وَسَائِر المبتدعة بمثابتهم. وَهل عَلَى الْبَاطِل دَلِيل أظهر من هَذَا!

قَالَ الله تَعَالَى: {**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمرهم إِلَى الله**}.

وَكَانَ السَّبَب فِي اتِّفَاق أهل الحَدِيث أَنهم أخذُوا الدّين من الْكتاب وَالسّنة، وَطَرِيق النَّقْل، فأورثهم الِاتِّفَاق والائتلاف. وَأهل الْبِدْعَة أخذُوا الدّين من المعقولات والآراء، فأورثهم الِافْتِرَاق وَالِاخْتِلَاف، فَإِن النَّقْل وَالرِّوَايَة من الثِّقَات والمتقنين قَلما يخْتَلف، وَإِن اخْتلف فِي لفظ أَو كلمة، فَذَلِك اخْتِلَاف لَا يضر الدّين، وَلَا يقْدَح فِيهِ. [٢]

فهل من عودة وأوبة للمنهج النقي الصافي والطريق الجلي الباقي فهو طريق واحد وما سواه فشعب ومتاهات ليس فيها خير ولا تخلوا من المخاطر

نسأل الله أن يهدي عباده للصراط المستقيم، ويصرف عنهم كيد عدوهم اللئيم

والله من وراء القصد

كتبه

أحمد بن سليمان

([١]) أخرجه أحمد (١٤٤٤١) وغيره وهو صحيح، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على ابن حبان (٤٤٩٧).

([٢]) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٦-٢٤٠).